



مكتبة المسجد النبوي الشريف



د. علي عفيفي علي غازي

أكاديمي وصحفي

«إذ كان طلب العلم من أفضل الأعمال، فإنه أفضل كثيرًا لاسيما إذا كان في المسجد النبوي، لقول المصطفى صلى الله عليه وسلم: (من جاء مسجدي هذا لم يأت إلا لخير يتعلمه أو يعلمه فهو بمنزلة المجاهد في سبيل الله، ومن جاء لغير ذلك فهو بمنزلة الرجل ينظر إلى متاع غيره)»¹. (رواه ابن ماجه وأحمد).

كانت الكتب قبل اختراع الطباعة غالبية الثمن، لا يقتنيها إلا الأغنياء، لأنها كان مخطوطات مرتفعة التكاليف، ولذلك قام القادرون من محبي العلم بإنشاء المكتبات، يجمعون فيها الكتب، ويفتحون أبوابها للراغبين في القراءة والبحث. وقامت هذه المكتبات بالدور الذي تقوم به معاهد العلم والجامعات في الوقت الحاضر. ونظرًا لأن الإسلام دين سماوي، فقد حرص منذ بزوغه الأول على الاهتمام بالكتب، وبالكلمة المكتوبة بصفة عامة. وعلى المرء أن يتأمل المكانة التي حظي بها القرآن الكريم في الإسلام، لكي يدرك مدى عمق هذه الحقيقة. واعتبارًا من القرن التاسع الميلادي، كانت هناك إشارات عديدة إلى المكتبات في العالم الإسلامي، وذلك على الرغم من وجود إشارات أيضًا إلى أن بعض المكتبات تعرضت للتدمير خلال الحروب العديدة، التي دارت رحاها، ولا بد لنا من الإشارة إلى أن النساء لم يكن مستبعدات من هذا العمل، ويحدثنا المؤرخ وكاتب السير ابن خلكان، بأن سيدة زنجية تدعى (توفيق) كانت المسؤولة عن إعارة الكتب في مكتبة بغداد للوراقين البارعين. وقد اهتم المسلمون بأبنية المكتبات العامة التي كانت تُعدُّ لاستقبال الجماهير. وكان البناء مزودًا بحجرات متعددة، تربط بينها أروقة واسعة، وكانت الرفوف تثبت بجوار الجدران لتوضع فيها الكتب، وكانت هناك أروقة للاطلاع، وأخرى للنسخ، وبعضها لحلقات الدراسة. وشملت بعض المكتبات كذلك حجرات للموسيقى يذهب إليها المطالعون للترفيه. وكانت لهذه المكتبات فهارس منظمة، تتناول عناوين الكتب وأسماء المؤلفين.

تعد المكتبات الإسلامية من أهم المؤسسات الثقافية التي يفخر بها الإسلام، والتي كان لها دور كبير جدًا في نشر المعرفة تعدى تأثيرها المسلمين أنفسهم فانقلبت

أثارها إلى ديار الغرب². وقد عرفت الحضارة الإسلامية أنواعًا متعددة من المكتبات لم تعرفها أي حضارة أخرى، وانتشرت هذه المكتبات في جميع أرجاء الدولة الإسلامية، فوجدت المكتبات في قصور الخلفاء والمدارس والكتاتيب والجوامع، وكما وجدت في عواصم الإمارات ووجدت في القرى النائية والأماكن البعيدة، مما يؤكد على تأصل حب العلم لدى أبناء هذه الحضارة، وكان من جملة ما عرفته الحضارة الإسلامية من مكتبات، المكتبات الأكاديمية، وهي من أشهر المكتبات في الحضارة الإسلامية، ومن أهمها مكتبة بغداد (بيت الحكمة). وانتشرت المكتبات الخاصة في جميع أنحاء العالم الإسلامي بشكل واسع وجيد، ووجدت المكتبات العامة، وهي مؤسسات يحفظ فيها تراث الإنسانية الثقافية وخبراتها؛ ليكون في متناول الجميع من كافة الطبقات والأجناس والمهن والأعمار والثقافات المختلفة، ومن أمثلتها مكتبة مسجد قرطبة التي أسسها الخليفة الحكم المستنصر الأموي سنة 350هـ/ 961م³. ووجدت المكتبات المدرسية، إذ أولت الحضارة الإسلامية اهتمامها لإنشاء المدارس من أجل تعليم الناس جميعًا، وألحقت هذه المكتبات بالمدارس، وقد انتشرت بشكل عام في مدن العراق وسوريا ومصر وغيرها، ووجدت مكتبات في المساجد والجوامع، وهي البداية الأولى للمكتبات في الإسلام، حيث نشأت المكتبات في الإسلام مع نشأة المساجد، ومن أمثلتها مكتبة الجامع الأزهر، ومكتبة الجامع الكبير بالقيروان، وكان الإنفاق على المكتبات من ريع الأوقاف من الدولة أو من أهل الخير⁴. هكذا كانت نظرة الإسلام والمسلمين للمكتبة "غذاء للعقل، ومكانًا للعلم، ومركزًا للبحث".

التأسيس

تعد مكتبة المسجد النبوي الشريف مركزًا من مراكز

العلم بالمدينة المنورة. ومن أقدم المكتبات في المدينة المنورة، وقد ذكر صاحب كتاب خزائن الكتب العربية أن مكتبة المسجد النبوي تكونت قبل حريق المسجد النبوي في 13 رمضان عام 886هـ/ 15 نوفمبر 1481م حيث احترقت خزائن المصاحف والكتب في ذلك الحريق وكانت تضم الخزائن كتبًا نفيسة ومصاحف عظيمة⁵. أما في العهد السعودي فقد تأسست المكتبة عام 1352هـ/ 1933م باقتراح من السيد عبيد مدني حينما كان مديرًا للأوقاف في المدينة المنورة، وكان أول مدير لها هو السيد أحمد ياسين الخياري. وبالمكتبة بعض الكتب التي يعود تاريخ وقفها على المسجد النبوي قبل تاريخ إنشاء المكتبة مثل مكتبة الشيخ محمد عبد العزيز الوزير التي أوقفت عام 1320هـ/ 1902م، وهي من الكتب التي أدخلت في المكتبة بعد تأسيسها، وكانت هناك كتب في الروضة الشريفة على بعضها تاريخ متقدم عن تاريخ تأسيس المكتبة. وتوجد المكتبة حاليًا داخل المسجد النبوي للاستفادة من المكتبة والخدمات المقدمة فيها.

وصاحب اقتراح إنشاء المكتبة هو السيد عبيد مدني المولود عام 1324هـ/ 1906م، جده السيد محمد مدني، الذي تولى خلافة قاضي المدينة، وأمين ديوان المحكمة، ذا مال وأحسان وعبيد، وهو الذي بنى قصر الصالحية بالشونة وسكن فيه مع أولاده، وبعد وفاته سكنه أولاده الثلاثة إلا السيد عبد الله والد السيد عبيد فإنه سكن دارًا بسوقة المعروفة ببيت المفتي، وتزوج السيد عبد الله من شقيقة السيد زكي البرزنجي، ابن السيد أحمد البرزنجي، وبنى السيد عبد الله الفندق الكبير خارج باب المجيدي، به أكثر من ثلاثمائة غرفة لإسكان الحجاج، كما نزل في هذا الفندق الكثير من الشخصيات البارزة من الأتراك في مقدمتهم أنور باشا وجمال باشا وزير الحربية، وطلعت باشا وزير المالية. واشتهر السيد عبد الله بكرمه وكان بساطه ممدودًا لكل غاد ورائح.

أنجب ابنه البكر السيد عبيد وفرح بمولده وأنفق الكثير يوم ولادته، وبعد سبع سنوات من عمره توفي رحمه الله. وبقيت والدته في البيت بعد وفاة والده، ولما اندلعت الحرب العالمية الأولى سنة 1333هـ/ 1914م، أمر حاكم المدينة العسكري فخري باشا بإجلاء أهل المدينة للشام والأناضول خوفًا من انقطاع الأرزاق من الشام، وخوفًا من ميل الشريف مع الحلفاء صار سكان المدينة يسافرون تبعًا، وبقي السيد عبيد مع والدته بالمدينة وانتقل لقصر الصالحية، حيث احتضنته أمه الشريفة صفية برزنجي التي رفضت الخروج في رحلة التهجير الجماعي لأهل طيبة. والتحق السيد عبيد بالمدرسة الفيصلية، ولم يواصل دراسته في المدرسة بل أخذ في الدرس بالحرث الشريف، وكان مولعًا بالأدب فتتلمذ على يدي المرحوم الشيخ العمري؛ فكان الشيخ يأتيه للبيت فيدرس عليه، ثم إن السيد عبيد حُبب إليه بيع الفندق حيث كان يؤجره



«عرفت الحضارة الإسلامية أنواعًا متعددة من المكتبات لم تعرفها أي حضارة أخرى، وانتشرت هذه المكتبات في جميع أرجاء الدولة الإسلامية، فوجدت المكتبات في قصور الخلفاء والمدارس والكتاتيب والجوامع، وكما وجدت في عواصم الإمارات ووجدت في القرى النائية والأماكن البعيدة»

«وبالمكتبة بعض الكتب التي يعود تاريخ وقفها على المسجد النبوي قبل تاريخ إنشاء المكتبة مثل مكتبة الشيخ محمد عبد العزيز الوزير التي أوقفت عام 1320هـ/ 1902م، وهي من الكتب التي أدخلت في المكتبة بعد تأسيسها، وكانت هناك كتب في الروضة الشريفة على بعضها تاريخ متقدم عن تاريخ تأسيس المكتبة. وتوجد المكتبة حاليًا داخل المسجد النبوي للاستفادة من المكتبة والخدمات المقدمة فيها»

لبعض المدرسين بأجرة طفيفة، واشترى بثمنه دارين بمصر إحداهما له والثانية لأخيه السيد أمين مدني، ومكث الأخوان وأقاما بها، ولما قام عبد الناصر بثورة الاشتراكية توقفت رواتب الموظفين السعوديين المقيمين بمصر فاضطر السيد عبيد للرجوع للمدينة. وتوفي في شوال 1396هـ/ أكتوبر 1976م بمصر وجاؤوا بجثمانه بالطائرة، وقد صلى عليه في المسجد النبوي ودفن بالبقيع. وترك ديوانًا شعريًا مطبوعًا يزيد على 3 آلاف بيت، كما ترك موسوعة لتاريخ المدينة المنورة تبلغ 12 مجلدًا، إلا أنها لم تطبع حتى اليوم.

لقب السيد عبيد بشاعر المدينة وأديبها ومؤرخها، حيث عاش ثلاثة عهود مختلفة من الحكم في طيبة، فأدرك أواخر حكم العثمانيين، ثم حكم الهاشميين، كما عاش أكثر حياته في ظل الحكم السعودي الذي دخل المدينة عام 1344هـ/ 1926م. وبرز اسمه في المناصب التي تقلدها كمضوية مجلس إدارة المدينة، ووفدها إلى المؤتمر الوطني بمكة عام 1350هـ/ 1932م، وإدارة أوقاف المسجد النبوي الشريف، وعضوية مجلس الشورى عام 1355-1373هـ، ومجلس الأوقاف الأعلى، ورئيس جمعية الدفاع عن فلسطين، وأسهم في تأسيس جريدة المدينة، ومجلة المنهل. وكانت له اتصالات بالملك عبدالعزيز، والملك سعود، والملك فيصل، رحمهم الله.

أما أول مدير لمكتبة الحرم النبوي الشريف فهو الشيخ أحمد ياسين الخياري، وهو شيخ القراء، وأحد أدياب المدينة المنورة الأفاضل، ومن مؤرخيها المعروفين. وله عدة كتب مطبوعة، وله اهتمام واسع بالتاريخ وعلى وجه الخصوص تاريخ المدينة الفاضلة طيبة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، وكان رحمه الله حريصًا على اقتناء الكتب والمؤلفات المتعلقة بالمدينة المنورة وتاريخها الحافل. ولد بالمدينة المنورة عام 1321هـ/ 1903م. حفظ في كتاتيب الحرم النبوي في العاشرة من عمره المتون في سائر الفنون، وقرأ شروحها على والده، وتعمق



في دراسة القراءات السبع والعشر والأربعة المتممة لها، وأكمل دراسته في الجامع الأزهر، وأدرج اسمه ضمن علماء الحرم النبوي بعد عودته من القاهرة في أوائل عام 1345هـ/ 1927م، وقام بالتدريس في مدرسة النجاح، واشترك في لجنة الاختيار السنوي لمدارس المدينة المنورة عدة سنوات. وعين عضواً وسكرتيراً ونائباً لرئيس لجنة تنظيم مكتبات المدينة المنورة، ومديراً لمكتبة الحرم النبوي الشريف، ثم مديراً لمكتبة المحمودية. كما عين عضواً في مجلس الأوقاف، وعمل في المحكمة الشرعية بطريق الانتداب للبحث في سجلات المحكمة الشرعية الكبرى عن الأوقاف المنمورة العائدة نظارتها إلى مديرية الأوقاف بالمدينة، وفي الحرم النبوي الشريف مندوباً عن الأوقاف للإشراف على ترميم أبواب الحرم النبوي. وتجاوزت مؤلفاته الخمسين كتاباً، وهي على وجه العموم تدور حول القرآن وعلومه والتاريخ. وتوفي في ليلة الأربعاء 17 رجب 1380 هـ/ 5 يناير 1961م.

أقسام المكتبة

تضم أقسام المكتبة قاعات المطالعة الخاصة بالرجال، وتقع في الركن الشمالي الغربي من سطح المسجد النبوي، والمدخل السلم الكهربائي رقم (10)، وتحتوي على (358) دولا، يوجد بها (100.000) كتاب، و(300) كرسي للرواد. وتوجد قاعات المطالعة الخاصة بالنساء وهي خمس قاعات ثلاث منها في مصلى النساء الشرقي بباب عثمان بن عفان رضي الله عنه رقم (24)، واثنان في المصلى الغربي باب عمر بن الخطاب رضي الله عنه رقم (16)، وتم افتتاحها في غرة جمادى الأولى 1416هـ/ 26 سبتمبر 1995م. وتحتوي المكتبة النسائية على جميع التصانيف الرئيسية مثل قاعة المطالعة الخاصة بالرجال، بدءاً من المعارف العامة وانتهاءً بالتاريخ حسب تصنيف ديوي المعدل. وتوجد قاعات مطالعة خاصة بالأطفال. وتضم المكتبة التصانيف الرئيسية للمكتبة، ويبلغ عدد المجلدات بها (19477) مجلداً، وتضم المكتبة قرابة

المخطوطات، وطاولات لعرض نماذج من المخطوطات للزائرين، وصور ملتقطة مكبرة لنماذج بديعة من المخطوطات والمصاحف.

ويقع قسم المكتبة الصوتية في باب (17) للمسجد النبوي، ويقوم بحفظ ما يلقي في المسجد النبوي من التلاوات والدروس والخطب والصلوات من الحرميين الشريفين، وتبلغ محتوياته أكثر من مائة ألف ساعة صوتية مسجلة على أشرطة كاسيت وأقراص مدمجة ووسائط إلكترونية حديثة متعددة. كما تضم المكتبة الصوتية أكثر من مائة ألف ساعة صوتية، تشمل الدروس والمواعظ والخطب التي ألقيت بالمسجد الحرام والمسجد النبوي، وكذلك بعض المصاحف المسجلة لأئمة الحرميين الشريفين من صلاة التراويح والتهجد.

ويوجد القسم الفني بباب رقم (9) باب الملك سعود بن عبد العزيز رحمه الله، ويقوم بتجليد وترميم وتقييم المخطوطات والكتب، وتصوير بعض طلبات التصوير من كتب ومخطوطات، والكتابة على الكتب المجلدة، ويشتمل القسم الفني على العديد من الأجهزة والمعدات والأدوات الحديثة الخاصة بالتجليد والترميم والتقييم والتصوير وذلك للقيام بأي عمل لازم للكتب بأسرع وقت ممكن ويعمل متقن. وقد تم إدخال جميع فهارس الكتب بالحاسب الآلي وذلك بعمل برنامج خاص بالمكتبة يُسهل الاستعلام وسرعة البحث عن الكتاب المطلوب خدمة للباحثين.

ويضم القسم الفني أقساماً هي: التجليد بأنواعه، والترميم لأجل ترميم المخطوطات والكتب، والطباعة الحرارية على الكتب آلياً ويدوياً، والتصوير والفهرسة والتصنيف والتزويد. ولكل من هذه الأقسام مهام: فقسم الفهرسة والتصنيف يقوم بتصنيف وفهرسة الكتب، وتسجيل الكتب الواردة للمكتبة في برنامج المكتبة بالحاسب الآلي. وقسم التزويد يقوم بتأمين الكتب الجديدة للمكتبة عن طريق الشراء، ومن مهامه أيضاً جلب الكتب الموقوفة على المكتبة، حيث يقوم البعض بوقف الكتب على المكتبة ونقلها إلى المكتبة في حياته أو بوصية منه بعد موته. وقسم المستودع يضم الكتب المكررة الزائدة عن حاجة رواد المكتبة، كما تحفظ به كميات الكتب التي توزع على المساجد والمكتبات العامة في أنحاء العالم. وقسم الحاسب الآلي يقوم بإدخال بطائق الكتب (الفهارس) في الحاسب بعد ما تم إنجاز برامج لفهرسة الكتب والمخطوطات، والدوريات، كما يتم به تحويل المصورت الورقية والميكروفيلمية عبر الماسح الضوئي إلى الحاسب الآلي، وكذلك أدخل وحفظ التسجيلات الصوتية والمرئية في الحاسب الآلي.

ويقوم قسم التزويد بإعداد قوائم بالكتب التي تحتاجها المكتبة، ويتم التزويد عن طريق الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي، أو عن طريق التبادل لبعض المصورت لكتب مطبوعة، أو عن طريق إهداء بعض

الكتب من الأفراد أو المكتبات العامة أو الجامعات والمراكز العلمية، أو عن طريق الوقف على المكتبة. وتتعاون المكتبة مع المكتبات الأخرى في داخل المملكة مثل مكتبة الملك فهد الوطنية، ومركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض، ومكتبة الملك عبد العزيز العامة بالمدينة، ومكتبة الحرم المكي، ومكتبات الجامعات في الداخل، ومن أهمها مكتبة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، كما تتعاون مع مكتبات الجامعات الإسلامية في الخارج.

وهناك أقسام أخرى مثل: البحث والترجمة، ويتم به بحث بعض المسائل حسب الحاجة، وترجمة ما يحتاج إلى ترجمة عربية من اللغات الأخرى كالإنجليزية والفرنسية والأوردو وغيرها، والاطلاع على الكتب المهداة أو الموقوفة على المكتبة وإجازتها، وقسم الأمن والسلامة ويقوم على مراقبة القاعات وتنظيم دخول وخروج الكتب إلى الأقسام وبين القاعات. وقسم الإهداء والتبادل ويقوم بتوزيع ما يتوفر من كتب ومطويات على رواد المكتبة وغيرهم، حسب النظام المتبع، وتبادل بعض الأفلام والمصورت سواء ورقية أو على أقراص ضوئية أو وسائط متعددة. وقسم الإعارة ويقوم بتنظيم إعارة بعض الكتب الخاصة بالإعارة حسب النظام والترتيب الموضوع لذلك.

تفتح المكتبة أبوابها يومياً من الساعة السابعة والنصف صباحاً إلى ما بعد صلاة العشاء بما في ذلك أيام الخميس والجمعة والعطل الرسمية لعيد الفطر والأضحى، ويتم إغلاق المكتبة فقط عند الصلوات حتى تخدم المكتبة أكبر عدد من الباحثين والزائرين، وليجد الباحث فرصة أوسع ليستفيد حسب الوقت الذي يتناسب مع ظروفه.

ويزور مكتبة المسجد النبوي الشريف أكثر من سبعين ألف زائر سنوياً من خمس وسبعين دولة، وترتاد المكتبة أعداد كبيرة من طلبة العلم وزوار المسجد النبوي، من أجل تلقي العلم وأيضاً للبحوث الخاصة بالدراسات العليا، ويسمح لجميع زوار المسجد النبوي الشريف بالاستفادة من المكتبة والخدمات المقدمة فيها.

ومن أجل المحافظة على موجودات المكتبة تم توفير

المصادر:

العديد من الأجهزة مثل: تركيب أجهزة أمن على مداخل أبواب قاعات المطالعة للرجال والنساء، وتم وضع شريط ممغنط على جميع الكتب والمخطوطات بالمكتبة لكشف أي كتاب يخرج بإصدار صوت ينبيه المسئول. وأجهزة مراقبة (كاميرات) وتتم المراقبة في غرفة خاصة للاطمئنان على سلامة الكتب من العبث. وتركيب طفايات الحريق منها اليدوية ومنها الآلية عند مداخل المكتبة وسقفها. وأجهزة الإنذار ضد الحريق للتنبيه عند وجود دخان أو حرارة من الأعمال التي يتم خلالها المحافظة على سلامة الموجودات، والتقييم الدوري لجميع الكتب والتركيب على الكتب النادرة والمخطوطات. ووضع حرس أمن عند مداخل القاعة والمخطوطات، وترميم وصيانة المخطوطات والكتب وتجليد ما يحتاج إلى تجليد، وذلك عن طريق القسم الفني بصفة مستمرة، بالإضافة إلى وجود مسئول أمن عند مداخل القاعات. وإدخال جميع المخطوطات الأصلية في الحاسب لتسهيل الاطلاع والتصوير للباحثين والمحافظة على الأصل، ويتم الاطلاع عليها عن طريق الحاسب الآلي، والاحتفاظ بنسخه من الأشرطة والاسطوانات الخاصة بالحاسب الآلي التي تطلب للرجوع إليها عند تلف أو فقد النسخة المستعملة.

يعمل بالمكتبة ثمانون شخصاً من موظفين، وفنيين، ومستخدمين، وعمال، إضافة إلى العاملات اللاتي يعملن بالمكتبة النسائية. ويتم توزيع العاملين على فترتين، صباحية ومسائية. وتقدم المكتبة الخدمات المتنوعة للباحثين والقراء مدة فتح المكتبة، ويقوم الموظف المختص بمساعدة الباحثين في قاعات المطالعة بما يحتاجونه من خدمات. وتبادل صور المخطوطات الأصلية والمصورت الورقية والميكروفيلمية مع الأفراد والمكتبات العامة ومكتبات الجامعات في المملكة العربية السعودية وغيرها. ونسخ تسجيلات القرآن الكريم والدروس والخطب المحفوظة في المكتبة الصوتية والمقاة في الحرميين الشريفين لمن يطلبها بعد إحصاره أوعية فارغة. وتصوير طلبات الباحثين والرواد حسب التعليمات. وتوزيع بعض النشرات والمطويات والكتب المتوافرة على رواد المكتبة.

«المكتبة تعد متخصصة في علوم الدين الإسلامي: القرآن وعلومه والتفسير والحديث والفقه...، التي تشكل ثمانين بالمئة من محتويات المكتبة»

«تضم المكتبة التصانيف الرئيسية للكتب، ويبلغ عدد المجلدات بها (19477) مجلداً. وتضم المكتبة قرابة تسعين ألف كتاب مطبوع، وعشرة آلاف كتاباً مخطوطاً ما بين أصول خطية ومصورت رقمية وورقية وميكروفيلم، وثلاثة آلاف دورية. ومن أقدم المخطوطات التي وجد عليها تاريخ النسخ تفسير الإمام الثعلبي المسمى (الكشف والبيان في تفسير القرآن) والذي نسخ عام 578 هـ، و(المعلم شرح صحيح مسلم) للإمام المازري، نسخ أيضاً عام 578 هـ. وهناك الكثير من المصاحف والمخطوطات النادرة، سواء من ناحية الخط، أو الزخرفة والتذهيب، أو التعليقات والحواشي»

- 1 - محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، تحقيق جمال عينايتي، (بيروت: دار الكتب العلمية، 2001)، الجزء الثاني، ص 417.
- 2 - صلاح أحمد الطنوبي: "المكتبات في الإسلام"، مجلة الوعي الإسلامي، العدد 271، (رجب 1407هـ/ مارس 1987م)، ص 48-54.
- 3 - عيسى الحسن: الأندلس في ظل الإسلام تكامل البناء الحضاري، (عمان: الأهلية للنشر والتوزيع، 2010)، ص 96؛ عبد الغني عبد الفتاح زهرة: نورة محمد عبد العزيز التوجري: تاريخ الفتح الإسلامي والدول الإسلامية في بلاد الأندلس، (الرياض: مكتبة الرشد، 2010)، ص 191؛ عبد الرحمن علي الحجري: التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، (الدوحة: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 2012)، ص 317.
- 4 - محمد ماهر حمادة: المكتبات في الإسلام نشأتها وتطورها ومصائرهما، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1978)، ص 82، 127.
- 5 - الفيكتنت فيليب دي طرازي: خزائن الكتب العربية في الخافقين، (بيروت: منشورات وزارة التربية الوطنية والفنون الجميلة، د.ت.)، ص 146.



ألوان من الأدب العالمي والعربي



إبراهيم عبد الله الخويطر

كاتب ومفكر

من الأدب العالمي التناؤل والتشاؤم

(اليوم لم يهتم بعد والسوق التي على شاطئ النهر لاتزال، ولقد خفت أن يكون يومي قد تبدد وآخر دراهمي قد ضاع، ولكن لا يا أخي، ما زلت أملك شيئاً، لأن حظي لم يسلبني كل شيء.

الآن انتهى البيع والشراء، لقد جمعت حصيلتي من الطرفين، والآن حان وقت عودتي إلى البيت.

ولكن أيها الحارس، أفتطلب ضريبتك؟ لا تخف يا أخي، لأنني ما زلت أملك شيئاً، لأن حظي لم يسلبني كل شيء.

إن سكون الريح يندب بالعاصفة.

وإن السحب المتجمعة في الغرب لا تبشر بخير.

والماء ساكن ينتظر الريح.

أما أنا فأهرو ل لأعبر النهر قبل أن يدركني الليل.

ولكن يا صاحب المعبر أفتريد أن تطلب أجرك؟

أجل يا أخي، إنني ما زلت أملك شيئاً، لأن حظي لم يسلبني كل شيء.

وفي ظلال الشجرة على جانب الطريق تربع شحاذ.

وأأسفاه، إنه يحرق في وجهي وفي عينيه رجاء وحياء.

إنني في ظنه غني بما ربحته في يومي.

أجل، يا أخي، إنني ما زلت أملك شيئاً، لأن حظي لم يسلبني كل شيء

لقد اشتد ظلام الليل، وأقفر الطريق، وتألقت الحباحب بين أوراق الشجر

من عساک تكون يا من تتبعني في خطوات متلصصة صامتة

أه، لقد عرفت، إنك تريد أن تسرق مني كل أرباحي

لن أخيب ظنك!

لأنني ما زلت أملك شيئاً، لأن حظي لم يسلبني كل شيء.

وصلت إلى المنزل عند منتصف الليل بيدين

وأنت لدى الباب تنتظرين في بقطة وصمت، وفي عينيك الرغبة

وكعصفورة وجلة طرت إلى صدري، يدفعك حب تواق.

أه يا إلهي، إن شيئاً كثيراً ما يزال باقياً معي، لأن حظي لم يخذعني ويسلبني كل شيء.

طاغور البستان

(التشاؤم)

أخالك تحضر عند قبوري يا حبيبي، تفرس على حوافيه أشجار السذاب

كلا! حبيبيك ذهب البارحة ليخطف كريمة من أجمل كرائم الثراء! وهو يقول

في نفسه: ماذا عليها من ضير أن أنقض لها عهدي في الحياة؟

إذن من ذلك الذي يحضر ناحية القبر؟ أقاربي الأعراف؟ لا بنية! إنهم يجلسون هناك ويقولون: ماذا يجدي؟ أي نفع لهذه الأشجار والأزهار.

إن روحها لن يفلت من براثن القضاء خلال ذلك التراب المروك!

ولكني أسمع حافراً يحفر هناك من ذا عسى أن يكون! أهو عدوتي اللئيمة الرعناء؟

لا، إنها حين علمت أنك عبرت الباب الذي لا مفر منه، ضنت عليك بالعداوة، ولم تجدك أهلاً للكره والبغضاء، فما تبالي اليوم في أي مرقد ترفدين!

إذن من يكون ذلك الحافر على قبوري؟ فقد أعياني الظن، وأقرت بالإعياء!

أواه إنه أنا يا سيدتي الودود! أنا كلبك الصغير، أعيش بقربك وأرجو ألا يزجرك ذهابي ومآبي في هذا الجوار!

أه نعم! أنت الذي تحضر على قبوري. عجباً كيف غفلت، عنك، ونسيت أن قلباً واحداً وفيها قد تركته بين تلك القلوب الخواء! وأي عاطفة لعمرك في قلوب الناس تعدل عاطفة

الولاء في فؤاد الكلب الأمين؟

سيدتي إنني أحضر عندما أحضر لأدفن عظمة أعود إليها ساعة الجوع في هذا الطريق.

فلا تعتبي على إزعاجك، فقد نسيت أنك في ذلك المكان تنامين نومك الأخير!!!

النقد الأدبي-قطب

نموذج التناؤل لأعرابي (المعري)

صاح! هذه قبورنا

غير مجد في ملتي واعتقادي نوح باك ولا ترنم شاد وشبيه صوت النعي، إذا قيس بصوت البشير في كل ناد

أبكت تلکم الحمامة أم غنت على غصنها المياد

إيليا أبو ماضي

قال السماء كئيبة وتجهما

قال: العدى حولي علت صيحاتهم

أسر والأعداء حولي في الحمى؟ قلت: ابتسم.. لم يطلبوا بدمهم

لو لم تكن منهم أجل وأعظما قال: المواسم قد بدت أعلامها

وتعرضت لي في الملابس والدمى وعلي للأحباب فرض لازم

لكن كفي ليس تملك درهما قلت: ابتسم يكفيك أنك لم تنزل

حياً ولست من الأحبة معدماً! قال: الليالي جرعتني علقما

قلت: ابتسم ولئن جرعت العلقما فلفل غيرك إن رأيك مترنما

طرح الكأبة جانباً وترنما أتراك تغنم بالترنم درهما

أم أنت تخسر بالبشاشة مغنماً؟ ياصاح، لا خطر على شفتيك أن

تتلمأ، والوجه أن يتحطما فاضحك فإن الشهب تضحك والدجى

متلاطم، ولذا أحب الأنجما قال: البشاشة ليس تسعد كاؤنا

يأتي إلى الدنيا ويذهب مرغماً قلت: ابتسم ما دام بينك والردى

شبر، فإنك بعد لن تتبسماً

(نموذج آخر لأبي ماضي كن بلسماً)

كن بلسماً إن صار دهرك أرقماً

وحلاوة إن صار غيرك علقماً

إن الحياة حبتك كل كنوزها

لا تبخلن على الحياة ببعض ما

أحسن وإن لم تجز حتى بالثنا

أي الجزاء الغيث يبغي إن همي؟

من ذا يكافئ زهرة فواحة؟

أو من يثيب البلبل المترنما؟

عُد الكرام المحسنين وقسهم

بهما تجد هذين منهم أكرما

ياصاح خذ علم المحبة عنهما

إنني وجدت الحب علماً قيماً

لو لم تفح هذي، وهذا ما شدا،

عاشت مدممة وعاش مدمماً

فاعمل لإسعاد السوى وهنائهم

إن شئت تسعد في الحياة وتنمعا

أيقظ شعورك بالمحبة إن غفا

لولا الشعور الناس كانوا كالدمى

أحب فيغدو الكوخ قصراً نبيراً

وابغض فيمسي الكون سجننا مظلماً

ما الكأس لولا الخمر غير زجاجة

والمرء لولا الحب إلا أعظماً

كرة الدجى فاسود إلا شهيه

بقيت لتضحك منه كيف تجهما

لو تعشق البيداء أصبح رملها

زهراً، وصار سرايبها الخداع ما

لو لم يكن في الأرض إلا مبيض

لتبرمت بوجوده وتبرمما

لاح الجمال لذي نهى فأحبه

ورأه ذو جهل فظن ورجما

لا تطلبن محبة من جاهل

المرء ليس يحب حتى يفهما

وارفق بأبناء الغباء كأنهم

مرضى، فإن الجهل شيء كالعمى

واله بورد الروض عن أشواكه

وانس العقارب إن رأيت الأنجما

يا من أتانا بالسلام مبشراً

هش الحمى لما دخلت إلى الحمى

وصفوك بالتقوى وقالوا جهيد

علامته، ولقد وجدتك مثلما

لفظ أرق من النسيم إذا سرى

سحراً، وحلو الكرى إن هوماً

وإذا نطقت ففي الجوارح نشوة

هي نشوة الروح ارتوت بعد الظما

وإذا كتبت ففي الطروس حدائق

وشى حواشيتها اليراع ونمنما

وإذا وقفت على المنابر أوشكت

أخشابها للزهو أن تتكلمما

إن كنت قد أخطأك سربال الغنى

عاش ابن مريم ليس يملك درهما

وأحب حتى من أحب هلاكه

وأعان حتى من أساء وأجرما

(ولأننا نعيش أياماً أقرب إلى التناؤل فنحن

بحاجة إلى فلسفة التناؤل)

(فلسفة الحياة - إيليا أبو ماضي)

أيهدا الشاكي وما بك داء

كيف تغدو إذا غدوت عليلاً؟

إن شر الجناة في الأرض نفس

تتوقى قبل الرحيل الرحيل

هو عبء على الحياة ثقيل

من يظن الحياة عبئاً ثقيلاً

والذي نفسه بخير جمال

لا يرى في الوجود شيئاً جميلاً

ليس أشقى ممن يرى العيش مرا

ويظن اللذات فيه فضولاً

أحكم الناس في الحياة أناس

عللوها فأحسنوا التعليلاً

فتمتع بالصبح ما دمت فيه

لا تخف أن يزول حتى يزولا

وإذا ما أظلم رأسك هم

قصر البحث فيه كيلاً يطولا

أنت للأرض أولاً وأخيراً

كنت ملكاً أو كنت عبداً ذليلاً

لا خلود تحت السماء لحي

فلماذا تراود المستحيلاً؟

كل نجم إلى الأفول ولكن

آفة النجم أن يخاف الأفولا

غاية الورد في الرياض ذبول

كن حكيماً واسبق إليه الذبول

وإذا ما وجدت في الأرض ظلا

فتضياً به إلى أن يحولا

وتوقع إذا السماء اكفهرت

مطرًا في السهول يحيي السهولا

قل لقوم يستنزفون المآقي

هل شفيتم مع البكاء عليلاً

ما أتينا إلى الحياة لنشقى

فأريحوا أهل العقول العقولا

كل من يجمع الهموم عليه

أخذته الهموم أخذاً وبيلاً



يا أمير البيان..

(تحية واعتذار إلى الراحل نزار قباني)



شعر

سعد عبد الله الغريبي

لك مني تحيتي وسلامي
شاعر الياسمين فاح أريجاً
شاعر البحر والندى والغمام
شاعر الحب حين وقت السلام
باشتياقي ولوعتي واحترامي؟
حين كلنا إليك كل اتهام
ورهيّن لـ (كيفه) والهيّام
وجهاد لنيل حق مرام؟
أي شأن له بأحلام شعب
عربي وعزة واحترام؟
أي شأن له بتحقيق حلم
ناصر الفكر طاهر الأحلام
ولعمري فلم يضرهم سوانا
باحتراف وقتنة واضطرام
راعنا أن رميت أقلام ورد
وتحولت كاتباً بالحسام
هالنا أن طرحت وردة حب
وتخلّيت عن كؤوس المدام
وذهلنا إذ اعتزلت الندامي
وتوجهت نحونا باهتمام

شاعر النبيل والمروءة حقاً
ما قدرناك حق قدرك لما
ما عرفناك يوم كنت لدينا
بل عرفناك حين جدت أمور
كنت نيهتنا إليها ولكننا خشينا مغبة الإقصام
كنت أندرتنا كثيراً كثيراً
من شتات وفرقة وانقسام
وأنت السبيل للمجد لكننا اتجهنا إلى دروب الظلام
كم تنبأت للشعوب بقهر
إن تسلّم قيادها للطغام
صدق الحدس يا نزار فصرنا
في يديهم كصبيّة أيتام
قد تولوا قيادنا فاستحلنا
لعبة في اليدين والأقدام

شاعر الثأر للكرامة ممن
سلبوها في غفلة وانهمز
داعي العرب للتحرر من ربة كل المستعمرين اللئام
أو تدري بما فعلناه لما
غبت عنا في هذه الأعوام؟
أوتدري بأن مسرى النبي
لم تعده إلى حمى الإسلام؟
بل أضعنا عراقنا وبع قلبي
وقريباً نضيع أرض الشام
وقطار التطبيع ما زال يمضي
بيننا والعدا بكل انتظام
وقطار التكريك ما زال يسري
بسكون .. وهدأة .. وسلام

يا أمير البيان شعراً ونثراً
ودليل الورى لفض الكلام
كنت لامست كل جرح عميق
حين أدركت ما بنا من سقام
حين أدركت أننا ما أخذنا
من فنون الشعوب غير الحطام
يا أمير القريض عضواً فإننا
قد سئمنا معيشة الأنعام
عد إلينا تعد لنا يا عزيزي
ما افتقدناه من حياة الكرام

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي
وأسمعت كلماتي من به صمم
أنام ملء جفوني عن شواردها
ويسهر الخلق جراها ويختصم
وجاهل مده في جهله ضحكي
حتى آتته يد فراسة وفم
إذا رأيت نيوب الليث بارزة
فلا تظنن أن الليث يبتسم
الخيال والليل والبيداء تعرفني
والسيف والرمح والقرطاس والقلم
صحبت، في الظلوات الوحش منفرأ
حتى تعجب مني القور والأكم
يا من يعز علينا أن نضارقههم
وجداننا كل شيء بعدكم عدم
ما كان أخلقنا منكم بتكرمة
لو أن أمركم من أمرنا أمم
إن كان سركم ما قال حاسدا
فما لجرح إذا أرضاكم ألم
وبيننا، لو رعيتم ذاك، معرفة
إن المعارف في أهل النهى ذمم
كم تطلبون لنا عيباً فيعجزكم
ويكره الله ما تآتون والكرم
ما أبعد العيب والنقصان من شري
أنا الثريا وذان الشيب والهرم
ليت الغمام الذي عندي صواعقه
يزيلهن إلى من عنده الديم
لئن تركن ضميراً، عن ميامنا
ليحدثن إلى من ودعتهم ندم
إذا ترحلت عن قوم وقد قدروا
ألا تفارقهم فالراحلون هم
شرا البلاد مكان لا صديق به
وشر ما يكسب الإنسان ما يصم
وشر ما قنصته راحتني قنص
شهب البزاة سواء فيه والرخم
هذا عتابك إلا أنه مقنة
قد ضمن الدر إلا أنه كلم

ولا تعتذر بالعدم على الذي طرى
يظن لنا مالا فيوسعنا ذمنا
فروى قليلاً، ثم أحجم برهة
وان هو لم يذبح فتاه فقد هما
وقال: أيا رباها ضيفي لا قري
بحقك لا تحرمه تاليلة اللحما
فبيناهم، عنت على البعد عانة
قد انتظمت من خلف مسحلها نظما
ظماء تريد الماء فانساب نحوها
على أنه إلى دمها أظمما
فأمهلها حتى تروت عطاشها
فأرسل فيها من كنانته سهما
فخرت نحوها، ذات جحش فتية
قد اكتنزت لحماً وقد طبقت شحما
فيا بشره إذ جرّها نحو أهله
ويابشرهم لما رأوا كلمها يدمى
فباتوا كراماً قد قضاوا حق ضيفهم
فلم يغرّموا غرماً، وقد غنموا غنما
وبات أبوهم من بشاشته أباً
لضيفهم أباً والأم من بشرها أما
(المتنبي مع سيف الدولة عتاب ووداع مر)
وأحر قلباه ممن قلبه شيم
ومن بجسمي وحالي عنده سقم
مالي أكرم حياً قد برى جسدي
وتدعي حب سيف الدولة الأمم
إن كان يجمعنا حب لغرته
فليت أنا، بقدر الحب نقسم نعم
قد زرتة، وسيوف الهند مغمدة
وقد نظرت إليه والسيوف دم
فكان أحسن خلق الله كلمهم
وكان أحسن ما في الأحسن الشيم
فوت العدو، الذي ييمته، ظفر
في طيه أسف في طيه نعم
قد ناب عنك شديد الخوف، واصطنعت
لك المهابة ما لا تصنع البهم
عليك هزمهم في كل معترك
وما عليك بهم عار إذا انهزموا
يا أعدل الناس إلا في معاملتي
فيك الخصام، وأنت الخصم والحكم
أعيدها نظرات منك صادقة
إن تحسب الشحم في من شحمه ورم
وما انتفاع أخي الدنيا بناظره
إذا استوت عنده، الأنوار والظلم
سيعلم الجمع، ممن ضم مجلسنا
بأنني خير من تسعي، به قدم

(أعرابي مدمن باع صوفاً واشترى فيه خمراً فلامته
زوجيه)
(خروف من عرائس وشياطين للعقاد)
تزوجت اثنتين لفرط جهلي
بما يشقى به زوج اثنتين
فقلت: أصير بينهما خروفاً
ينعم بين أكرم نعجتين
فصرت كنعجة تضحي وتسمي
تداول بين أكرم نعجتين
رضى هندي بهج سخط هندي
فما أعرى من إحدى السخطتين
وألقى في المعيشة كل ضر
كذلك الضر بين الضرتين
لهذي ليلة ولتلك أخرى
عتاب دائم في الليلتين
فإن أحببت أن تبقى كريما
من الخيرات مملوء اليدين
فعض عزبا فإن لم تستطعه
فضربا في عراض الجحفلين
* * *

(أعرابي سكير باع صوفاً واشترى بثمنه خمراً فلامته
امراته) قال:
غضبت علي لأن شربت بصوف
ولئن غضبت لأشربن بخروف
ولئن غضبت لأشربن بنعجة
دهساء مائلة الإناء سحوف
ولئن غضبت لأشربن بناقة
كوماء ناوية العظام صفوف
ولئن غضبت لأشربن بسايح
نهد أشم المنكبين منيف
ولئن غضبت لأشربن بواحدي
ولأجعلن الصبر عنه حليفي
عرائس وشياطين- العقاد - كرم أعرابي (الحطيئة)
وطاوي ثلاث عاصب البطن مرمل
ببيداء لم يعرف بها ساكن رسما
أخي جفوة فيه من الإنس وحشة
يرى البؤس فيها من شراسته نعم
تفرد في شعب، عجوزاً إزاءها
ثلاثة أشباح. . تخالهما. . بهما
حفاة عراة، ما اغتدوا خبز ملة
ولا عرفوا للبر من خلقوا طعاما
رأى شبعا وسط الظلام، فراع
فلما بدا شبعا تشرم. . واهتما
فقال ابنه لما رآه بحيرة
أيا أبت اذبحني ويسرله طعاما



قيثارة الحزن وشهرزاد الغزل..

إدريس جماع



بقلم: عماد أحمد العالم

@emadelalem

يُقال: ومن الحب ما قتل... ولست منكراً لذلك، فأنا الذي استشهدت وكتبت من قبل كما آخرين عن قيس الذي وصفوه بالمجنون وبحببيته ابنة عمه ليلي العامرية التي أدمى هواها قلبه؛ لكن الغريب وقد يكون النادر مستحيل الحدوث هو أن يقضي الشخص نحبه من فرط هواه بالجمال وغرامه به وتعلقه دون أن يكون لأحد هي أنثى بذاتها، سلبت لبه وتملكت عقله، فانشغل عن دنياه وواقعه وهام في ملكوت الحب اللامتناهي حتى فقد عقله، وأمسى وحيداً ملكاً وشعباً في مملكة جنونه التي أطلقوها عليه واختارها بنفسه ولم يجد عازراً في ذلك، أو رغبة في الخروج منها، بعد أن أصبح الجمال هاجسه الذي لا يُمكن أن يُشفي منه.

هو ابن النيل الجواد وشاعر السودان الذي قضى فاقدًا لعقله بعد سنواتٍ من معاناته وأمراضه النفسية التي حجرت على جسده، لكنها لم تحجر على جود لسانه، الذي قرض به شعراً لو وزن بما فاضت به فريضة الشعراء المعاصرين في الهوى والجمال والغزل لوزنهم ورجحت كفته عليهم!

إدريس جماع مدرس اللغة العربية الذي ترك حبيبة جارة له في السودان ورحل أربعينيات القرن الماضي صوب مصر فحصل منها على ليسانس اللغة العربية وعاد ليجد المحبوبة وقد تزوجت قريباً لها، فجن جنونه وهام في شوارع الخرطوم يرثي حظاً لم يكرمه بعد أن فقد وصال من منى نفسه بأن تكون يوماً شريكةً لحياته. كان رحمه الله وكما روي عنه هائماً في سوق الخرطوم كالباحث عن شيءٍ فقدته وغير مكترث لما حوله، فناشد العديد من الأدباء والمفكرين والمثقفين حكومة الرئيس السوداني إبراهيم عبود التي عُرف عنها اهتمامها بالأدب والفرن

علاجه في الخارج فاستجابت وأرسلته إلى لبنان التي عاد منها للسودان مرة أخرى دون أن تتحسن حالته، حتى قيل إنه كان يرى راقداً على خطوط السكة الحديدية، ليقوم منتفضاً كمن به مس عند اقتراب القطار. بقي حاله على ما هو عليه حتى ضنى جسده ونحل وتوفي بشعره العام 1980.

عُرف برهف حسه وببلاغة شعره وبسمو معانيه، التي كانت تخرج مسرعة فتصطف كلماتها بإبداع قارضها كسوارٍ من لؤلؤٍ أضنى بحاره حتى جمعه بتفانٍ وعزيمة، بأن يخرج في كل غطسة بلالئ متناسقة براقه، حال جمعها وصقلها تغدو حلم أميرة يزدان بها معصمها حال لبسه!

من منا في لحظات قنوطه وحسرتة لرداءة حظه لم ينشد:

إن حظي كدقيقٍ فوق شوكٍ نثره
ثم قالوا لحفاةٍ يومٍ ريحٍ اجمعوه
عظّم الأمر عليهم ثم قالوا اتركوه

أن من أشقاه ربي كيف أنتم تُسعده
هي كلمات يرثي بها الشاعر إدريس نفسه، وإن كانت اختلفت في مصدرها فتسبها البعض للشاعر السوداني محمد عبد الحي وآخرون أرجعوها لمحمد محجوب؛ لكن المنطق يشير إلى أن معانيها جسدت نمط تفكير جماع وكرست عمق إيمانه بالله سبحانه وتعالى وبقوته التي لا تجاريها أو تقترب منها قوة البشر.

من أكثر الروايات التي تم تداولها عنه وأثرى الغزل والجمال بها بقصيدة (أنت السماء)؛ ما روي عن موقف حدث معه وهو في المطار مستهلاً مشواره العلاجي في الخارج، حيث رأى عروساً تجلس بجانب عريسها في صالة

الانتظار، فبهرة فرط جمالها، فلم يزح ناظره عنها برغم ما أثاره ذلك الصفون بالمرأة من حفيظة زوجها الذي حاول أن يبعدها عنه، فقال أحد أروع قصائده التي تغنى بها الفنان الراحل سيد خليفة، وكأنه يخاطب فيها زوجها المحتج والمتمتع من نظراته:

أعلى الجمال تغار منا ماذا عليك إذا نظرنا
هي نظرة تنسى الوقار وتسعد الروح المعنى
دنياي أنت وفرحتي ومنى الفؤاد إذا تمنى
أنت السماء بدت لنا واستعصمت بالبعد عنا
هلاً رحمت متيماً عصفت به الأشواق وهنا
وهفت به الذكرى فطاف مع الدجى مغنى فمغنى
هزته منك محاسن غنى بها لَمَّا تغنى
يا شعللة طافت خواطرنا حوالئها وطفنا
أنست فيك قداسة ولمست إشراقاً وهنا
ونظرت في عينيك آفاقاً وأسراراً ومعنى
كلمٌ عهدوداً في الصبا وأسأل عهدوداً كيف كُنَّا
كَمْ باللقا سمحت لنا كَمْ بالطهارة ظللتنا
ذهب الصبا بعهدودٍ لبت الطفولة عاودتنا

في قصة أخرى اشتهرت عنه ونتاج عنها واحدة من قصائده العذبة؛ قيل عنه في أثناء تواجده في مستشفى فرنسي للعلاج أنه ألع بعيني ممرضته التي تتولى علاجه وأسرت به جمالها، فلم يترك النظر إليها لحظة حتى خافت منه فاشتكت لمدير المستشفى، الذي نصحها بأن تضع نظارة سوداء حال تواجدها معه، ليتفاجأ جماع بما فعلت فقال فيها:

السيف في غمده لا تُخشى بواتره
وسيف عينيك في الحالتين بتارا!

فتمت ترجمة ما قال للمرضة التي بكت من حسنه، وهو الذي صنّف فيما بعد كأبلغ بيت شعر غزلي في العصر الحديث!

كتب عنه الدكتور عبده بدوي في كتابه الشعر الحديث في السودان «إن أهم ما يميز الشاعر إدريس جماع هو إحساسه الدافق بالإنسانية وشعوره بالناس من حوله»، فيما وصف الدكتور تاج السر الحسن المُشرف على طباعة ديوانه الوحيد (لحظة باقية) وفيها جمعت قصائده التي لم يتسن نشرها بسبب مرضه عدا عن عديدة فقدت بسبب كتابته لها وتمزيقها أو كتابتها على الجدران؛ شعره بالذي يقع في إطار التراثي والديواني العربي، كونه من مدرسة العربية الابتدائية ومن رواد التجديد الشعري

ومن شعراء مدرسة الديوان على وجه الخصوص ضمن مجموعة عبدالرحمن شكري وعباس العقاد وإبراهيم المازني.

أما هذه الأبيات للشاعر إدريس جماع فيمكن أن تقرأ رأسياً وأفقيًا بنفس المعنى:

ألوم حبيبى وهذا محال
حبيبى أفيك الكلام يقال
وهذا الكلام غداة الجمال
محال يقال الجمال محال

سببى شعر إدريس جماع خالداً وهو الذي يعد من أرق من كتب الشعر الممزوج باللبؤس والمعاناة والألم والحرمان الذي طال قائله، لكنه ومع ذلك خرج لنا بقصائد عذبة يفيض منها عبق الإنسانية والمشاعر المرهفة والإحساس الصادق الذي تغنى بالجمال وقده ودعى للوطنية ومجدها وساندها في أوقات شهدت ثورات عربية كان من أشد المتحمسين لها وعلى رأسها القضية الفلسطينية والجزائر ومصر وقضايا التحرر في العالم أجمع، كما تغنى بأفريقيا ونادى لوحدة الشعوب ونبذ العنف والسلام والمحبة ومجد وطنه وعشقه، ومن بعض ما قال فيه بإحدى قصائده التي تم إضافتها للمناهج الدراسية ويقول فيها:

سأمشى رافعاً رأسي بأرض النيل والظهر
ومن تقديس أوطاني وحب في دمي يجري
ومن ذكرى كفاح الأمس من أيامه الفر
سأجعل للعلا زادي وأقضى رحلة العمر
هنا صوت يناديني نعم لبيك أوطاني
دمي عزمي وصدري كله أضواء إيماني
سأرفع راية المجد وأبني خير بنياني
هنا صوت يناديني تقدم أنت سوداني

من قصائده الغزلية الأخرى قرأنا له:

في ربيع الحب كنا نتساقى ونغني
نتناجى ونناجي الطير من غصن لغصن
إننا طيفان في حلم سماوي سرينا
واعترضنا نشوة العمر ولكن ما ارتونا
إنه الحب فلا تسأل ولا تعتب علينا
كانت الجنة مأوانا فضاقت من يدنا
أطلقت روحي من الأشجان ما كان سجيناً
أنا ذوبت فؤادي لك لحناً وأنيماً
فارحم العود إذا غنوا به لحناً حزينا
ليس لي غير ابتسامتك من زاد وخمر
بسمة منك تشع النور في ظلمات دهري
وتعيد الماء والأزهار في صحراء عمري



إدريس جماع

إهمام في شوارع الخرطوم يرثي حظاً لم يكرمه بعد أن فقد وصال من منى نفسه بأن تكون يوماً شريكةً لحياته. كان رحمه الله وكما روي عنه هائماً في سوق الخرطوم كالباحث عن شيءٍ فقدته وغير مكترث لما حوله!